المجلة السعودية
للعلوم الإنسانية

المجلة السعودية للعلوم الإنسانية
Saudi Journal of Humanities

الإصدار التاسع
المجلد (٣) العدد (٤)
(١- ٢٣)٢٠٢٥

الأثر التّشكيلي المُعاصر: وسيطا فنّيّا لتمثّل الإنساني ومواجهة الكارثي

د. صالح بنحميد

(أستاذ بجامعة القيروان)

تاريخ النشر: نُشر إلكترونياً بتاريخ ١٠ نوفمبر ٢٠٢٥ م

الملخص :

يستعرض هذا البحث دور الأثر التشكيلي المعاصر كوسيط فني يعكس التجربة الإنسانية ويواجه الكوارث المجتمعية. يوضح البحث كيف يتفاعل الممارس التشكيلي مع القضايا الاجتماعية والسياسية والفكرية في محيطه، محولاً الأحداث والظواهر إلى لغة إبداعية تعكس رؤيته النقدية. كما يناقش البحث أهمية ارتباط الفن بالمجتمع والهموم الإنسانية، مؤكدًا أن الإبداع لا يكتمل إلا إذا عبّر عن صراعات المجتمع وهمومه، مع استثمار الظواهر الكارثية مثل الحروب والثورات كمادة جمالية تتجاوز المتعة البصرية لتسجيل الدروس والعبر.

الكلمات المفتاحية:

(الفن التشكيلي المعاصر، التعبير الإنساني، القضايا الاجتماعية، الكوارث والظواهر، النقد الفني)

Abstract :

human experience and addresses societal catastrophes. It highlights how visual artists engage with social, political, and intellectual issues in their environment, transforming events and phenomena into a creative language that conveys their critical perspective. The study emphasizes the importance of connecting art with society and human concerns, asserting that creativity is meaningful only when it expresses societal

struggles and worries, utilizing catastrophic events such as wars and revolutions as aesthetic material that goes beyond visual pleasure to record lessons and insights.

Keywords:

(Contemporary Visual Art, Human Expression, Social Issues, Catastrophes and Phenomena, Artistic Critique)

المقدمة :

أبرزت الأساليب الفنيّة المُعاصرة نوعاً من التّلاحم مع القضايا الّتي يطرحها الفكر السوسيولوجي. وبيّنت كيفيّة تنوع تعامل الممارس التّشكيليّ مع المواضيع والقضايا الّتي يطرحها محيطه الاجتماعي، حتّى أنَّ الفنان يبدي في ممارسته نوعا من الانشغال الكلي بالمنظومة الاجتماعيّة، ويقوم بمراقبتها ليترجم أفعالها وأحداثها إلى لغة تشكل ملامح تصوراته الإبداعيّة، كما يتعامل في تعبيراته مع كل الظواهر الّتي تطغي على مجتمعه على غرار الثّورات، الحروب، القضايا الاجتماعية، الفكرية والسّياسيّة. إذ يعرف حسن حنفي المبدع المثقف في قوله "على أنَّه كل من تربى لديه وعي ذاتي بالاتجاهات العامّة في حضارته، وقادر بان يختار بينها، و يقف موقف نقدي منها" [١]. وفي هذا الطرح كانت عين الفنان مراقبة للتّجاوزات الإنسانيّة الّتي تسجلها في نفس إبداعي لا يخلو من الأبعاد النّقدية الّتي كانت ضرورة ملحة تبدأ من توطد العلاقة بين المفكر الفنان ومجتمعه الذي ظلّ يعيش في صراع معها حتى يتبناها وينقدها من خلال حسن قراءته لجميع أطياف المجتمع. خاصّة وأنه يرى أنَّ جميع المجالات الفنيّة من مسرح وسينما وفنون تشكيليّة جميعهم نوعا من الاندماج الكلي لتفاصيل المجتمع وجزئياته .

وإن لم يكن كذالك ما قيمة الفنّ وما قيمة الإبداع إذا كان لا يعبران عن هموم المجتمع وشواغله كما قال طه حسين "على أن كل أديب لا يستقى مادته وروحه من حياة الشعب فليس أديبا، ولا هو بكاتب للأدب وعلى ذلك فلابد من أن تعرف ماذا يقول الشعب وكيف يعيش الشّعب وكيف يحكى حكاياته وأقاصيصه ولابد للأدباء من دراسة الأدب والحياة في البيئات المختلفة للناس "[٢]. ولنا في ذلك العديد من الأساليب الفنية الّتي قامت بمراقبة وتسجيل بل استثمار الفظائع الإنسانيّة كالحُروب وتحويلها إلى مادة جماليّة تتجاوز منطق اللّذة البصرية. فتتحقق رغبة الفنان في تأكيد الحدث وطرحه بطرق تبطن الإبداع لغاية تسجيله وأخذ العبرة منه وتجاوز تابعاته. وفي هذا نستحضر قول

[١] بهنسي عفيف، النقد الفني وقراءة الصورة، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى،١٩٩٧، ص١٣.
[٢] إبراهيم حجاج، النّقد الاجتماعيّ نظريّة الانعكاس، الحوار المتمدن، العدد، ٣٦٨٧ بتاريخ ٢٠١٢/٤/٣.

"كارل ماركس" في تحليله للممارسة الفنية وفيه يقول:"أن الفنانون صوروا العالم بأشكال مختلفة غير أن مهمتهم هى تغييره"[٣] فكيف يتعاطى الفنان المعاصر، جماليًّا وفنيًّا مع العنف والحرب كقيمة وموضوع؟ هل يمكننا الحديث عن جماليّة الحرب والعنف؟ وبأي معنى؟ كيف تمثلت الممارسة الفنيّة المُعاصرة قضِيَّة العُنصريَّة وأهوال الحرب كمحور رئيسي للعمل الفني ؟ وما هي الآليات الفنية والبصرية الّتي وظفتها هذه التجارب لغاية طرح خطاب نقدي ساخر؟ وهل أنَّ الأساليب الفنية المُعاصرة في مجملها هي ممارسات تنقد الظواهر وتنشد التّغيير والتّحوير في مجتمعها؟

- **الأساليب التشكيلية المُعاصرة وقضِيَّة العُنصريَّة: قراءة في تجربة "جون ميشال باسكيا"**

يُعتبر الفنان مكونا أساسيا من مكونات المحيط الاجتماعيّ والإنسانيّ عموما، فهو امتداد لفكر وآراء الأفراد الذين يعايشهم ويتعايش معهم، وفقا لرؤية بصريّة تعمل على التّغيير ونقد الأفكار السلبية والإشادة بالممارسات الإيجابيّة، ليكون بذلك "هدف الفنان المبدع الحقيقي. كما كان مؤرخ الفن الألماني، "إروين بانوفسكي" يقول هو الوصول إلى الجوهر الأعمق للواقع، إلى تلك الفكرة أو الأفكار الحقيقية المهيمنة عليه، إلى كل ما هو ثابت وكل مادة نفسية اجتماعية مناسبة ويوظفها لخدمة أغراضه الخاصة بالوصف والتفسير والتنبؤ بالظواهر الاجتماعية"[٤]، ومثل هذا الترابط الناجم في الحقيقة عن تلك الظّواهر الحتمية، الّتي تسود العلاقة بين جميع مستويات وفئات المجتمع الواحد في وحدته الجغرافيّة الضيقة أو الإنسانيّة عموما، والمرتبطة في جذورها العميقة بعلاقة تحكمها ثنائية السبب والنتيجة. إنّها علاقة تفرضها طبيعة النظم التّواصلية بين جميع مستويات الوجود الإنساني، وما تعرفه من تداخل وترابط بين ما هو سياسيّ واجتماعيّ وكذلك اقتصادي، حيث أنَّ أي حدث يقوم في مجتمع ما يمكن أن ينجم عليه نوعا من التّداخل بين جميع الأطراف المذكورة سلفا، لذلك يظل الفنّ باعتباره ينبع من عمق الشارع والمجتمع، يصقل وينقد في ذات الوقت عمق التجارب الإنسانيّة ومصارعتها لصعوبة هذه التَّحولات. ويصبح الفنان موجّها لآرائه عبر العديد من الرّؤى والممارسات البصرية ذات الطابع النّقدي، بمعنى الفنان يعمد إلى تقديم آرائه وأفكاره حول الأحداث والتّطورات الّتي يعرفها مجتمعه من خلال منهجه الفني، إذا هنالك تلازم بين الممارسة الفنية والظواهر الاجتماعية، وأيضا السلطة القائمة على ذلك. وفي ظل هذه القراءة يمكننا الخلوص للقول بكون العمليّة النقدية في غالب الأحيان تكون على عاتق الفنان الذي يظلّ يتسلسل دائما ويمرر آراءه عبر مادته الفنية.

لذلك كان المجتمع بتطوراته وأحداثه المختلفة والمُتنوعة موضوعا، بل مادة هامة اشتغل عليها الممارس التّشكيلي وخاصة في المجتمعات المُعاصرة. ولنا في هذا عديد النماذج الّتي عملت على طرح قضايا المجتمع كمادة

---

[٣] إبراهيم حجاج، **النقد الاجتماعى نظرية الانعكاس**، الحوار المتمدن-العدد: ٣٦٨٧ - ٢٠١٢ / ٤ / ٣ - ١٧:٢٧.

[٤] شاكر عبد الحميد، الفكاهة وآليات النقد الاجتماعي، الكتاب السابع عشر بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤.

للعمل الفني. ففي الخمسينات والستينات من القرن العشرين عاشت العديد من الشعوب وخاصة شعوب أمريكا اللاتينية مسألة الميز العنصري، حيث امتدت مسألة الحرب بين الأبيض والأسود منذ عشرات السنين. وفي ظل هذا الصراع والتمييز والاستبداد والقهر ظهرت العديد من الفنون الّتي ترجمت هذا الواقع المُزري، أشهرها فن الموسيقى مثل الأسلوب الغنائي الذي إشتهر به

(Bob morly). كذلك العديد من الأساليب الأخرى مثل الرقص في الشارع، على غرار تجربة الفنان الأمريكي "جون ميشال باسكيا (Jean-Michel Basquiat) "الذي ولد سنة ١٩٦٠ وسط حي شعبي بمدينة بروكلين في نيويورك، وتوفي سنة ١٩٨٧. وقد بدأ مسيرته الفنية بالكتابة والرسم على حوائط المدينة (الجرافيتي).

وقد عكست رسوماته وكتاباته على الجدران فكره الثوري، كما أنها كانت نوعا من المعادلة يسعى من خلالها الفنان التأكيد على وجوده، "الأنا الموجود" بفعل "الأنا أرسم"، وهو يُعتبر في عهده أول فنان أسود يحتل مكانة بارزة في تاريخ الفنّ مكنته من الوصول إلى جدار العالميّة رغم صغر سنه. وفي مرحلة متقدمة من مسيرته الفنية دخل "باسكيا" عالم الفن من أوسع بوابته، حين عرضت أعماله سنة ١٩٨٢ ضمن أكبر التظاهرات الفنية بمعرض "دوكومنتا كاسل" بألمانيا مع مجموعة من كبار الفنانين أمثال "آندي وارهول (Andy Warhol) " و"جيرارد ريختر(Gerhard Richter) ". وبالرغم من دخول أعمال الفنان إلى قاعات العرض إلاّ أنَّ ذلك لم يفرض عليه توجه معين في اختيار مواده، حيث تميز بتطويعه لكل ما يُمكن أنْ يكون سطح أو فضاء للممارسة التَّشكيلية ويخضعه لمجاله التّصويري. فممارسة الرسم عند "باسكيا" تحولت إلى هاجس يحاول الفنان من خلاله استحضار جملة من الأفكار والأحاسيس، بحس هزلي يوحي في طياته بالسخرية والنقد. كما تميز أيضا باشتغاله على مساحات ضخمة تعج بلقطات يومية من الحياة وقع تحويرها إلى أشكال ورموز تشكيلية وفق مسار إبداعي طازج تدفعه طاقة ورغبة هائلة لكشف وتعرية الواقع في إطار بارفورمونس فني (performance) لا يمكن توقع زمان أو مكان حدوثه. فينقلب منطق العمل وفكرة الفن لدى "باسكيا"، ضمن آلية سيكولوجية ليصبح الرسم فعل مستمر وليس نتيجة أو هدف محدد مسبقا. ولعل في تأملنا لجل أعمال "باسكيا" نلتمس فيها نوع من العنف الغريب في بناء العمل التشكيلي (كالرسومات الغير كاملة، مراوحة الأشكال بين الهزل والجد، استعمال الألوان القوية، والكتابات المطموسة والمبتورة..) ومن خلال ذلك العنف يحاول الفنان أن يقدم قراءة لمزاج أخلاقي وثقافي معين لحقبة ومجتمع مثل انتشار مظاهر الفقر والميز العنصري داخل المجتمع الأمريكي. ليصبح بذلك العمل الفني عبارة عن شهادة فنية على العصر، والتي حاول عبرها "باسكيا" أن يكون أكثر التحاما واقترابا من المتلقي عبر اختياره للجدران العمومية كمحامل لأعماله، لتكون رسالته ظاهرة للعيان عاملا في ذلك على ترجمة نوع من الثقافة الشعبية، من خلال تلك الرسوم العبثية والعفوية الماثلة على جدران وشوارع وأنفاق الولايات المتحدة الأمريكية. ولنا في هذا عمله الذي رسمه في ثمانينات القرن المنقضي، والذي وضعه تحت عنوان "العين اليسرى (left eyes) "في تمثل

صريح لواقع الطبقة السوداء في المجتمع الأمريكي، والّتي تعاني من نظرات الازدراء والاحتقار في إحالة صريحة من الفنان لما يعيشه مجتمعه من انقسام إيديولوجي غريب تحتقر فيه الذات الإنسانية، وهو ما عمل الفنان على إبرازه للعيان من خلال عمله "العين اليسرى."

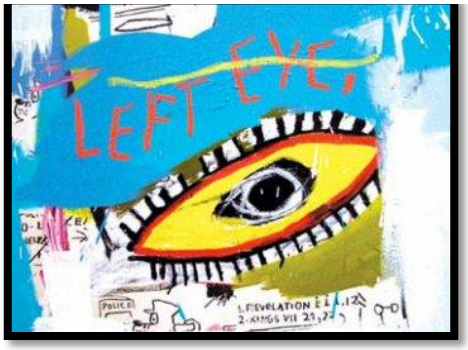

العين اليسرى [5] **(left eyes)**

وهو عمل جداري بالولايات المتحدة الأمريكية تم رسمه في بداية الثمانينات وينتمي هذا العمل إلى مجال الجرافيتي. حاول "بسكيا" أن يكون مثال ظاهر للعيان يترجم نوعا من الثقافة الشعبية، التي كانت تترجم عن الحائط في نوع من الرسوم العبثية والعفوية. والعين اليسرى هنا هي نوع من الإحالة إلى أن الفنان ينظر إليه المجتمع من خلال عين واحدة. وهي دعوة إلى ذلك الاحتقار والازدراء الذي يعاني منه السود في المجتمعات الأمريكية. وقد مثلت التّفرقة العُنصريَّة الّتي يعيشها السود في أمريكا في فترة الثمانيات المادة الّتي اشتغل "باسكيا" على إثارتها كقضية رئيسية تبنتها ممارسته الفنية على غرار العمل الذي قدمه تحت عنوان "جيمي الأفضل "Jimmu best"

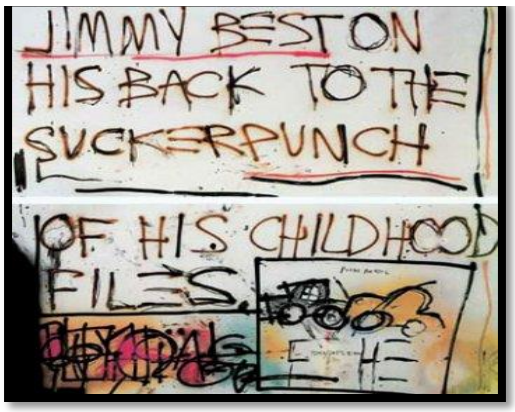

"جيمي الأفضل" "Jimmy best"

الذي طرح فيه قضية التقييم العنصري بين ثنائية الأفضل والأسوأ، وهو عمل يبطن نوعا من النّظرة التّهكمية على هذا النوع من التقييمات السائدة في علاقة أفراد المجتمع بعضهم ببعض. ففي هذا العمل تظهر العديد من الكتابات، والإمضاءات الّتي تبدأ من خلال التّسجيل على الجدران. وعبر قراءته هذه حاول "باسكيا" أنْ يخلق

[5] http://elmariachi.unblog.fr/files/2012/10/left-eyes.jpg

لممارسته الفنية نوعا من التّفرد ليجعل من الممارسة الإبداعيّة فضاء لنقد الأوضاع التصادمية التي يقوم عليها محيطه الاجتماعي. وهو ما أبرزه الفنان في أغلب تصوراته وممارسته الجرافيكية، وهو ما يمكن للمتلقي إدراكه من خلال تأمل أعمال الفنان وربط محتوياتها البصرية بالعناوين التي اختارها الفنان لأعماله على غرار النموذج الموالي.

"المحارب" "Warrior ١٩٨١"[٦]

في هذا العمل وتقريبا في كل أعماله الأخرى يبرز "بسكيا" ثورة وصرخة صريحة داخل المجتمع تأسس على الفقر، وهو مجتمع متعدد الأعراق كالمجتمع الأمريكي، هذا إضافة إلى وضعية العُنصريّة التي راودته فكانت جميع لوحاته تشير إلى لونه الأسود، وأنه لا يحمل مكان داخل مجتمع له أغلبية من البيض. فالفنّ هو نوع من الانعتاق داخل الحرية والولوج (الهروب) داخل إطار جديد، وهو إطار الصّورة والأعمال الفنية "لبسكيا" الذي كان صورة واضحة ونموذج مقدم للأزمات الّتي يعاني منها المجتمع الأمريكي، مثل التناول المفرط للمخدرات ومسألة العُنصريّة. كانت كلها أعمال حائطية تحمل مغاور هذا الازدراء والتهكم. وكذلك مظاهر الفقر والحرمان والتّهميش، أعمال فنية كان لا معرض لها سوى الشارع فهي تولد فيه وتعرض فيه وتقدم فيه أعمال قدمت ذات الفنان بطريقة عنيفة. يمكن القول إنّ الأعمال التي اخترتها لبسكيا هي أعمال تضرب بعمق في مسألة النقد الاجتماعي وخاصة إذا كان في علاقة بالفن.

لئن اشتغل الفنان الأمريكي "باسكيا" على قضيّة العنصرية، وجعلها محور أعماله، حيث عمد إلى طرح تصور حامل لخصوصية ذاتية قائم على تعرية الواقع من خلال أسلوب ومنهج تعبيري عنيف لا يخلو من النقد والسخرية، وهي رؤية فنية لا تزال تسجل حضورها في الفكر الفني المعاصر، كما أنَّ الممارسة الفنية لم تقتصر على معالجة قضية العُنصريّة، بل إنّها كانت أكثر توغلا في واقع الإنسان المعاصر، وعملت على إثارة جلّ التّجاوزات التي يعيشها إنسان النظام الاقتصادي الانتهازي، على غرار ما أفرزته هذه التوجهات من حروب ومآسي

[6] http://curate.tumblr.com/post/1179583867/jean-michel-basquiat-warrior-1981-acrylic-and

إنسانيّة عمل الفن التَّشكيلي المعاصر على استثمارها كمادة للفعل الإبداعي. لتكون ممارسة كل من الفنان الألماني "أوتوديكس"، والإسباني "بابلو بيكاسو" اللتان عملتا على كشف فضاعة الحرب وإبراز أهوالها.

- **الحرب ورمزيّة التَّعبير الإبداعي: "بابلو بيكاسو"، "أوتوديكس" و"فرنشيسكو غويا:"**

تبقى المُمارسة التَّشكيليّة حاملة لرؤية متفردة في قراءة الواقع وتصويره، حتّى أنها تذهب أحيانا إلى استثمار الفظائع الإنسانيّة وتحويلها إلى مادة جماليّة تتجاوز منطق اللّذة البصرية. فتتحقق رغبة الفنان في تأكيد الحدث وطرحه بطرق تبطن الإبداع لغاية تسجيله وأخذ العبرة منه وتجاوز تابعاته. ولنا في هذا مثال لوحة "غرنيكا" للفنان الإسباني "بابلو بيكاسو" الّتي جاب صداها جميع أصقاع العالم لتروي قصة الوحشية النازية ومدى تأثير الحرب وأهوالها في الإنسان، والتي رسمها سنة ١٩٣٧ بعد القصف الذي تعرضت له المدينة الإسبانية غرنيكا من قبل الطيران الألماني، والتي ذهب ضحيتها ما يناهز الألف قتيل والآلاف من الجرحى، وبفضل الحساسية المفرطة الّتي أبداها الفنان الإسباني "بيكاسو" في رسمه لهذه اللّوحة، فقد عرفت شهرة واسعة وأضحت أيقونة تجسد بشاعة الحرب وأهوالها وعذاباتها الإنسانيّة، حتى أنَّ مقر الأمم المتحدة ضم صورة من هذا العمل الفني. كما أن عديد الأطراف والمنظمات الإنسانيّة عملت على رفع هذا العمل الفني كشعار مناهض للحرب ورافضا لقيامها.

لتضحي بذلك رمزا ينكر الحرب وينقدها بما هي ممارسة تنفي الإنسانيّة وتؤكد الغريزة الحيوانية، وبذلك تحمل بعدا فلسفيا ملغزا في مستواه الجمالي يوضح مدى تفاعل الفنان المبدع مع الظروف والقضايا الاجتماعية السّياسيّة الّتي تزامن عصره. وفي هذا بالذات يطالعنا "بنيامين" في نقده لهذه الظواهر الاجتماعية في مقال نشره تحت عنوان "نقد العنف" عن ترجمة للصحافي المصري سمير الحسناوي، وفيه يقول:"ليست هناك من جمالية ممكنة للعنف إلا من وجهة نظر الجلادين والقتَلة، لكنّ هناك ممارسة له ونقدا سياسيا لهذه الممارسة، لأنها تطرح أسئلة على طبيعة النظام السياسي نفسِه. يُنظَر إلى العنف في الأنظمة الديمقراطية كحالة مرضية وإلى مواقف وحالات العنف المعمم، كالحروب مثلا، باعتبارها نتيجة من نتائج اندثار النظام السياسي والاجتماعي"[٧]. فاللّوحة تعكس نضج ووعي الإسباني "بيكاسو" وإلمامه بجل الجوانب التّقنية والجماليّة للممارسة التَّشكيليّة. فقد عمد إلى رسم لوحته باستخدام القيم الضوئية (الأبيض/ الأسود) مع بعض تدرجات اللون الرمادي، متخليا في ذلك على كل الألوان الأخرى، وكأننا به من خلال منطقه اللّوني هذا يحاول أنْ يُوثق مأساة الحرب في اشد تجلياتها، عاملا عبر قراءته هذه لتبين عظمة ما تعرضت له المدينة بعد القصف النازي من دمار وقتل. لتكون لوحة "غرنيكا" منفذا ولج منه "بيكاسو" إلى عوالم النقد، ليكشف ويعري فداحة الفعل الإنساني المصطبغ بالحيوانيّة. وبالرغم من الرّهافة ونُبل الإحساس الذي أبداه

[٧] سمير ألحسناوي، ظاهرة العنف بين الوصف والتفسير، والتر بنيامين مقال "نقد العنف، ص ٤.

الإسباني في رسم لوحته، فإن هذا العمل لم يسلم هو الآخر من ألسنة النقد. حيث ذهب بعض النقاد إلى اعتبارها مجرد خربشات عبثية تعكس فاجعة الفنان الذي رسمها بمنطق خالي من الوعي. فهي بمثابة الخواطر الذاتية لرجل صدمته فاجعة سقوط ضحايا من بلاده. وفي المقابل ذهب البعض الآخر على إنصاف رهافة ونبل إحساس الفنان بتأكيدهم على كونها لوحة تحمل فلسفة خاصة وتعمل على توجيه رسائل واضحة للمتلقي، لتدفعه لمناهضة الحرب ورفضها من خلال تلك الرسومات الدرامية التي أوجدها "بيكاسو" في لوحته. وكأننا نقف أمام لوحة تجسد التراجيدية الإغريقية، والّتي منها حاول الفنان الإسباني "بيكاسو" أن ينسج خطاب واضح المعالم يحمل رسالة مباشرة للمتلقي يذكره فيها بالموت وبشاعتها. فكأننا به يدعونا إلى التركيز على الجوانب المميزة والجميلة في الحياة بدل السعي وراء التصادم والصراع والقتل والاتصاف بالحيوانية.

بابلو بيكاسو " لوحة غرنيكا"٧.٨٠م X ٣.٥٠م[٨].

تجسد "غرنيكا" مشهد يحاكي تلك الإبادة التي تعرضت لها المدينة الإسبانية في أسلوب تراجيدي ملحمي. فهي تسجل الفعل بينما تغيب الفاعل، كما أنها تحمل جملة من الدلالات بالرجوع إلى الأطر التاريخية التي رسمت فيها بالنظر لكون القصف النازي تزامن مع المعرض الصناعي العالمي المقام في باريس، وفيه رفع شعار "التكنولوجيا في الحياة المعاصرة". فهو في ذلك يواجه الاحتفال والمراسم التي نظم عبرها المعرض بالمذابح التي أفرزتها هذه التكنولوجيا التي يحتفلون بها، وهي ذاتها التي سببت هذا الدمار الهائل لمدينة "غرنيكا"، فهي لوحة تحمل الكثير من الرمزية والإيحائية من خلال أشكالها التي جمع فيها "بيكاسو" بين الأشكال الحيوانية والآدمية، "وهكذا، ينصهر المضمون، متحولا إلى إيقاع يحكم حركة الشكل، وملامح بنائه دون أن يقيد طلاقة التعبير الكامنة في الشكل دون مباشرة" [٩]. حسب تعبير الدكتور فاروق بسيونى. وكأننا به يرسم جرح إسبانيا عبر شكل الثور وينعى الأمهات الثكلى في صورة تلك المرأة التي تحمل الطفل وتصرخ. يكفينا القول بكون "بيكاسو" أحسن إخراج

[8] http://centre-lecture.com/loisirs/spip.php?article1759

[٩] فاروق بسيونى، قراءة اللوحة في الفن الحديث دراسة تطبيقية في أعمال بيكاسو، دار الشروق، ص ١٤٦.

هذا العمل، بل إنه لخص العمل بطريقة مميزة إنبنت عليها فلسفة الفنان الإسباني، وكانت أكثر إيغالا في نقد الظواهر والممارسات الإنسانية بفضاعتها وسطوتها. وهي ذاتها السطوة التي عملت لوحة "غرنيكا" على إبرازها. وفي قراءة مآسي الحرب وأهوالها تطلعنا كذلك ممارسة الفنان الألماني "أوتوديكس" الذي رسم فضائع الحرب العالمية الأولى، من خلال أعماله الحفرية ذات الطابع التشخيصي. وهو في منهجه هذا أبدى الفنان واقعية كبيرة في رسمه للحرب محملا رسوماته طاقات تعبيرية عميقة، وهي أعمال تعد في التّاريخ المُعاصر من أهم الصور الشاهدة على ما آل إليه العالم الإنساني خلال الحرب العالميّة الأولى. هذا وقد زادته مشاركته في هذه الحروب دراية كبيرة ومعايشة حثيثة لمرارة الواقع الذي أفرزته الحرب. وقد كانت رسوماته الواقعية هذه ناقلة لأهوال الحرب سببا مباشرا في عزله من قبل السلطة الألمانية من رتبته كأستاذ في أكاديمية الفنون الجميلة، وذلك بمجرد وصول النظام النازي الذي عمل على التشهير بممارسة "أوتوديكس" واعتباره رائد الفن المنحط، ومثل ردة الفعل هذه تبرز مدى تأثير أعمال الفنان في السلطة والأنظمة الدّاعية للحرب. وهو ما يؤكد الأهميّة الّتي تحظى بها الممارسة النقدية في المجتمع، بالرغم من كون الفنان الألماني تراجع عن طريقة رسمه لأهوال الحرب نزولا عند الضغوطات التي فرضها عليه النظام النازي. فإن ممارسته لا تزال لليوم شاهدة على ما آلت إليه الإنسانية من وحشية. وهو ما يمكننا الوقوف عليه من خلال لوحته التي عرضها تحت عنوان "أهوال الحرب."

"أهوال الحرب" أوتوديكس (حفر على النحاس)[10].

فمن خلال هذا العمل حاول الفنان الألماني أن يترجم الواقع الفظيع للحرب، لتصبح خطابا بصريا مشحونا بالرسائل المناهضة لقيامها والناقل لأهوالها. ففي هذا العمل يحاول الفنان "أتوديكس" رسم الدمار الذي تتعرض له الإنسانية، من خلال رسمه لمشاهدها وأثارها ومخلفاتها، مستندين في ذلك لهذه المقولة "يترجم الفنان أحاسيسه إلى رسومات تعبيرية عن مدى قسوة الحرب على المجتمع بشكل مفجع، هذا الالتزام وليد نشأة الفنان أثر رؤية الدمار

[10] http://blogue.sblouin.ep.profweb.qc.ca/?cat=54

والحصار، والجوع والعطش، الآلام الإنسانية، القتلى والجرحى، الأطفال المشردين" [11]. حيث تظهر في اللوحة مشاهد للعديد من الجنود الذين تم اغتيالهم وحرقهم. بحيث يلغي الفنان ذلك الحد الفاصل بين الحياة والموت، وكأنه يريد أن يقول إن الحرب قبل كل شيء هي إبادة جماعية للمجتمعات ومهما كان رهانها. فإننا سنفقد أكبر رأس مال في الوجود وهو "الإنسان" على حد تعبير كارل ماركس. كما أنه وفي حديثنا عن تناول "الحرب" كمجال أو محور للممارسة الفنية، فإنه يتبادر إلى أذهاننا الكثير من التّجارب والأعمال التَّشكيليّة الّتي يصعب ذكرها جميعا. لكن يمكننا أن نعرج على أحد التجارب الفنية التي كانت الحرب محورها وآلية للتعبير عن الإيذاء والضحية والمعاناة بصورة مباشرة وعلى درجة من الصراحة كما هو الحال في هذه اللوحة للفنان "فرنسيسكو غويا:"

٣ ماي ١٨٠٨، فرنسيسكو غويا[12].

في هذا العمل يبرز الفنان مشهد من مشاهد الحرب، وهي نقطة إتحاد وتقاطع في قاموس الإنسانية تترجم القهر والظلم من خلال رؤية الفنان المثقف المفكر الذي يتعامل مع الفضاء واللوحة والألوان في نوع من الاجترار لكل ما تعرض له مجتمعه. وهو في الحقيقة نوعاً من السمو لهذه الواقعة. لقد كان اسم العمل بمثابة التوثيق الفني ليوم الواقعة وهو ٣ ماي ١٨٠٨ لذلك كان العمل الفني من جهة تخليد للمصدومين والمظلومين، وفي نفس الوقت نقد للمجتمع الذي يهتك الإنسانية وينكل بها. إن مسألة النقد الاجتماعي هنا هي نوع من الدعوة للتعايش في إطار المدنية واحترام القيم الإنسانية... لكن عن هذه للممارسات تظهر من خلال الفضاء والألوان وتنظيم الفضاء.

لقد مثل هذا المقال غوص في الأساليب الفنيّة المُعاصرة ورَمْزيَّة التَّعبير عن أهوال الحروب والتمييز العُنصري والأنظمة الشمولية والإيذاء وما تحتضنه من تأويلات ممتدة الرؤى ومنفتحة المعاني على الظواهر الاجتماعية، وما يسودها من سلوكيات كانت محور العديد من التجارب الفنية التَّشكيليّة المُعاصرة، مقاربات فنيّة جمعها النظر في نفس الموضوع، ففتحت جسرا للتواصل مع مسألة الأسلوب من ناحية، وطرق التعامل معها

[11] د سامي جركس، الإشكاليات الجماليّة بين ممارسة الفن التشكيلي العربي وكتابة تاريخ الفن التشكيلي المعاصر للأمة العربية، محاضرة ألقيت بالحرم الجامعة اللبنانية معهد الفنون الجميلة.

[12] http://history.hanover.edu/courses/art/goyamy3.html

من ناحية أخرى. لتمثّل إشكالية موضوع بحثي مجالا منحني الفرصة للوقوف عند الممارسة التشكيلية المعاصرة، من خلال التطرق لدراسة عدّة أعمال والّتي حوت جملة من المقاربات التشكيلية التي عبرت الإيذاء والضحية والمعاناة، وبالتحديد تجربة كل من "جون ميشال بسكيا" في قضِيَّة العُنصريَّة و "بابلو بيكاسو"، "أوتوديكس" و"فرنشيسكو غويا" في التَّعبير عن أهوال الحرب والإيذاء والضحية. وهي تجارب تبنت النقد كتوجه إبداعي. كما أنها مثلت في توجهها هذا تجربة متحررة من كل قيود المحرم والمقدس. لتكون حاملة لامتداد الذات البشرية في تصوراتها المختلفة وممارساتها المتنوعة. وتصبح تشكيلاتها حاملة لقيم ومعاني تجسد مقدرتها على الخلق والتنويع بطابع نقدي. ومن خلال تطرقنا لقراءة الأساليب الفنيّة المُعاصرة ورَمْزِيَّة التَّعبير من خلال التّطرق لقضِيَّة العُنصريَّة وأهوال الحرب، قمت بتوسيع دائرة البحث وتدعيمه بأمثلة مختلفة من الفن المعاصر. فجاءت قراءتنا بذلك لجملة من الممارسات الفنية الغربية، وفيها عالجنا ترابط تجربة كل من "بيكاسو" و"أوتوديكس" و" فرنشيسكو غويا " وكذلك تجربة "جون ميشال باسكيا" ومنها عملنا على قراءة كيفية توظيف التقنيات والمواد الفنية لتمرير الخطاب النقدي وملكته وتوجهاته كممارسة إصلاحية وتوعوية ومحاولة للتتبع مختلف أنساقه خاصة التشكيلية، وما تحتضنه من تأويلات ممتدة الرؤى ومنفتحة المعاني على الظواهر الإجتماعية، وما يسودها من سلوكيات كانت محور العديد من التجارب الفنية التشكيلية المعاصرة جمعها النظر في نفس الموضوع، ففتحت جسرا للتواصل مع مسألة الأسلوب من ناحية، وطرق التعامل معها من ناحية أخرى، لتمثّل إشكالية موضوع بحثي مجالا منحني الفرصة للوقوف عند الممارسة التَّشكيليّة المُعاصرة، التي مثلت في توجهها هذا تجربة متحررة من كل القيود. لتكون حاملة لامتداد الذات البشرية في تصوراتها المختلفة وممارساتها المتنوعة. وتصبح تشكيلاتها حاملة لقيم ومعاني تجسد مقدرتها على الخلق والتنويع بطابع نقدي .

البيبليوغرافيا

- الكتب والمجلاّت
- إبراهيم حجاج، النّقد الاجتماعيّ نظريّة الانعكاس، الحوار المتمدن، العدد، ٣٦٨٧ بتاريخ ٢٠١٢/٤/٣.
- بهنسي عفيف، النقد الفني وقراءة الصورة، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى،١٩٩٧، ص١٣.
- د سامي جركس، الإشكاليات الجماليّة بين ممارسة الفن التشكيلي العربي وكتابة تاريخ الفن التشكيلي المعاصر للأمة العربية، محاضرة ألقيت بالحرم الجامعة اللبنانية معهد الفنون الجميلة.
- شاكر عبد الحميد، الفكاهة وآليات النقد الاجتماعي، الكتاب السابع عشر بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤.
- فاروق بسيونى، قراءة اللوحة في الفن الحديث دراسة تطبيقية في أعمال بيكاسو، دار الشروق، ص ١٤٦.
- مصباح الشباني،"الثورة ودور المثقف العربي بين الكائن والمنكن"، مجلة الحياة الثقافية، الطبعة عدد ٢٢٢، وزارة الثقافة الجمهورية التونسية،٢٠١١ ص ١٢.
- سمير ألحسناوي، ظاهرة العنف بين الوصف والتفسير، والتر بنيامين مقال "نقد العنف، ص ٤.

- المواقع الالكترونية

- http://elmariachi.unblog.fr/files/2012/10/left-eyes.jpg
- http://curate.tumblr.com/post/1179583867/jean-michel-basquiat-warrior-1981-acrylic-and
- http://centre-lecture.com/loisirs/spip.php?article1759
- http://blogue.sblouin.ep.profweb.qc.ca/?cat=54
- http://history.hanover.edu/courses/art/goyamy3.html